﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾ [النساء: 86]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

أشارتِ الآيةُ السّابقةُ إلى وجوبِ الإعراضِ عن المنافقين ومُنابذَتِهم قولًا وفعلًا، فجاءت هذه الآيةُ لتبيّنَ أنَّ التّحيةَ ليست من وادي الشّفاعةِ، وأنّ الشّفاعةَ تابعةٌ للعملِ، والتَّحيةَ تابعةٌ للظّاهرِ، فقالَ سبحانَه عاطِفًا على ما تقديرُه: فلا تَشفَعُوا فيهم وأنتُم تعلَمُون سوءَ مقاصدِهم[1].

والتَّحيةُ ترغيبٌ في فرد شائعٍ من أفراد الشَّفاعةِ الحسنةِ إثرَ ما رُغِّبَ فيها على الإطلاق وحُذِّر عما يقابلها من الشَّفاعةِ السَّيِّئةِ وإرشادٌ إلى توفية حقِّ الشفيعِ وكيفيةِ أدائِه؛ فإنّ تحيةَ الإسلامِ من المسلم شفاعةٌ منه لأخيه[2]، وهي شفاعةٌ ضمنيَّةٌ تتضمَّن الدُّعاءَ، فنبَّه بأدنى درجات الشَّفاعةِ بغرضِ الحثِّ عليها.

ونكتةُ نظمِ هذه الآيةِ مع آياتِ الجهادِ هو التّمهيدُ لمنعِ المؤمنين من قتلِ من ألقَى إليهم السّلامَ في الحربِ ببَيانِ أنَّ لكلِّ مُسلِّمٍ حقًّا يؤدَّى إليه[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾: التَّحيَّةُ: قَولُ: حَيّاكَ اللّهُ؛ أي: أَبقاكَ وأَدامَكَ. وأَصلُها: الدُّعاءُ بِالحَياةِ، يُقالُ: حَيَّاهُ، يُحَيِّيهِ، تَحِيَّةً، أيْ: دَعا له بالحَياةِ، وقِيلَ أَصلُها: استِقبالُ المُحَيّا وهو الوَجهُ. وتُطلَق على كُلِّ قَولٍ أو فِعلٍ يُؤتَى بِهِ عند اللِّقاءِ بِقَصدِ التّكرِيمِ. ومِن مَعانِيها: التّعظِيمُ، والتّكرِيمُ، والفَرَحُ[4].

2) ﴿حَسِيبًا﴾: الحَسِيبُ: العَلِيمُ وهُوَ صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ، وقِيلَ: الحَسِيبُ هُنَا بِمَعنَى

(1) البقاعي، نظم الدرر: 5/350.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/210.
(3) القاسمي، محاسن التنزيل: 3/243.
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (حيّ).

المُحَاسِب. وسُمِّيَت المُجَازَاةُ مُحَاسَبَةً؛ لأَنَّ المُحَاسِبَ يَعُدُّ لِلشَّخصِ مَا لَهُ ومَا عَلَيهِ، ومِن مَعاني المُحَاسَبَةِ أَيضًا: التَّدبيرُ والكِفَايَةُ[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

تُبيِّن الآيةُ حكمَ التَّحيةِ في الإسلام، وأثرَها العظيم في تآلف القلوبِ وتقاربِ النُّفوسِ، بعد بيانِ أثَرِ الشَّفاعةِ الحسنةِ والشَّفاعةِ السَّيِّئةِ في المجتمعِ من تمزيقِ ائتلافِه، وهَدْمِ بُنْيانِه، فإنَّ التَّحيةَ من شأنِها أن تبنيَ بعد هدمٍ، وتجمعَ بعدَ تفرقةٍ، فكيف إذا كانت بالأحسنِ؟ واللهُ يجازي عبادَه بالخيرِ خيرًا.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

غرضُ التَّعبيرِ بإذا الشَّرطِيَّة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾:

نـشـرُ التَّحـية واجـــبٌ عـلى المجموعِ وردُّها واجـــبٌ عـلى الجميعِ

استُعمِلَتْ أداةُ الشَّرطِ ﴿وَإِذَا﴾ والأصلُ أن تكونَ للمقطوعِ بحصولِه، وللكثيرِ الوقوع؛ وذلك للتَّنبيه على أنَّ إلقاءَ التَّحيَّةِ من الأمورِ الواجبةِ على المجتمعِ بأكملِه، وأنَّه لا يجوز أن لا يُحيِّيَ أفرادُ المجتمعِ بعضُهم بعضًا، بحيث يُصبحُ ذلك السُّلوكُ غائبًا بالكُلِّيَّة، ويُفهَمُ منه من وجهٍ آخر، الإخبارُ عمَّا عليه المجتمعُ من إلقاءِ التَّحيَّةِ وما يتركُه ذلك من الأثرِ الحسنِ والمحبَّة بين النَّاس.

نُكتةُ استعمالِ صيغةِ المبني للمفعولِ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾:

كـلُّ مـن يُلقي التَّحيَّة يُردُّ عليه بالحسنى

إطلاقُ الجُملةِ القرآنيَّة، واستعمالُ صيغةِ المبني للمفعول في قولِه: ﴿حُيِّيتُم﴾ تَسوِّغان القول: بأنَّ الأمرَ فيها عامٌّ يشمل كلَّ فئةٍ من النَّاس تُلقي التَّحيَّةَ ابتداءً، بقطع النَّظر عن الجنس والدِّين والعُمر، فلَفظُ التَّحيَّةِ كِنايةٌ عَنِ الإكرام، فجَميعُ أنواعِ الإكرَامِ تَدخل تحتَ لَفظِ التَّحيَّة[2].

(1) جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 91.
(2) الواحدي، البسيط: 7/18، والبقاعي، نظم الدرر: 5/351.

فائدةُ تقديم: ﴿فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾ على ﴿أَوۡ رُدُّوهَاۗ﴾:

تقديمُ الأحسنِ على المِثْلِ للتَّرغيبِ بالفَضلِ

أَفادَ قَولُهُ: ﴿بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَاۗ﴾ التَّخييرَ بَينَ الحالَين، ويُعلَمُ مِن تَقديمِ قَولِهِ: ﴿بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾ أَنَّ ذَلِكَ أَفۡضَلُ[1]، وهو مِنْ بابِ تَقديمِ الأَفضَلِ على المَفضُول، فهي من باب التَّدلِّي.

ومعنى قوله تعالى: ﴿أَوۡ رُدُّوهَاۗ﴾ رُدُّوا مِثلَهَا، وهذا كَقَولِهم: عندي دِرهَمٌ ونِصفُهُ، لظُهور تعذُّر ردِّ ذات التَّحيّة، ودلَّ الأَمرُ على وُجُوبِ ردِّ السَّلام، ولا دَلالَةَ في الآية على حُكْمِ الابتداءِ بالسَّلام، فذلكَ ثابتٌ بالسُّنَّة للتَّرغيبِ فيه[2].

بلاغةُ الفاصلةِ القرآنيَّة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾:

الإسلامُ سَلامٌ وإكرامٌ لكلِّ من سَالَمَهُ

جاء التّذييلُ جملةً اسميةً مشحونةً بالتّوكيداتِ، وبالتّقديمِ المفيدِ التّخصيصَ، وبالتّعبيرِ بـ﴿كَانَ﴾ الدّالةِ على أزليَّتِهِ سبحانه في كونه ﴿حَسِيبًا﴾، وتخصيصُه بهذا الاسم الّذي لم يُذكر سوى ثلاثِ مراتٍ في الذِّكر الحكيم، ولَفظُ ﴿كُلِّ﴾ في الآيةِ مِنْ أَلفاظِ العُمُومِ القَطعيَّة؛ وذلكَ لأنَّ مَضمُونها لا يَحتمِلُ التَّخصيص، إذ إنَّه يُرادُ بها كلُّ شيءٍ من الأشياءِ تناولًا وحُكمًا، فاللّٰهُ تعالى مُحاسِبٌ على كُلِّ شيءٍ[3].

دلالةُ استعمالِ اسم الله الحسيب:

مَهما قلَّت الأعمالُ الصَّالحة فهي في ميزانِ الحسيبِ عظيمةٌ

الحَسِيبُ: يَجوزُ كَونُهُ مِنْ أَمثِلَةِ المُبَالَغَة، وقد قِيلَ: الحَسِيبُ هُنَا بِمَعنَى المُحَاسِب، كالأَكِيلِ والشَّرِيب. وعليه يَكُونُ التَّذييلُ وَعدًا بالجَزَاءِ عَلَى قَدرِ فَضلِ رَدِّ السَّلَامِ، أَو بالجزاء السَّيِّئ عَلَى تَركِ الرَّدِّ مِنْ أَصلِهِ، وقَد أَكَّدَ وَصفُ اللّٰهِ بِـ(حَسِيبٍ) بِمُؤَكِّدَين: حَرفُ (إِنَّ) وفِعلُ (كَانَ) الدَّالُّ على أَنَّ ذَلِكَ وَصفٌ مقرَّرٌ أَزَلِيٌّ[4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/146.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/147.
(3) الزايدي، صيغ العموم وأنواعه، ص: 170.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/87، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/147، طنطاوي، الوسيط: 2/870.

وبالحرف (على) المفيد الاستعلاءَ والتَّمكُّنَ، وفي هذا إشارةٌ إلى تأكيدِ أمر الصِّلةِ بين النَّاس، ووجُوب ردِّ التّحيّةِ على مَن يُسلِّمُ علينا ويُحيِّينا[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

التَّحيَّة والسَّلام:

التَّحيَّةُ أعمُّ مِنَ السَّلام، قال المُبرِّد: يَدخل في التَّحيَّةِ: حيَّاك اللّهُ، ولكَ البُشرى، ولَقيتَ الخيرَ، ولا يُقالُ لذلك: سلامٌ، إنَّما السَّلام قولُك: سلامٌ عليكَ، ويكون السَّلامُ في غير هذا الوجه السَّلامةَ مثل: الضَّلالُ والضَّلالةُ، والجَلالُ والجَلالةُ، والسَّلامُ اسمٌ مِنْ أسماءِ اللّهِ، والتَّحيّةُ أيضًا المُلك. فالتَّحيَّة تُقالُ في حقِّ اللّهِ تعالى: التَّحيَّاتُ للّه، وأمَّا السَّلامُ فلا يُقالُ في حقِّ اللّه، والتَّحيَّةُ تعظيمٌ، واللّهُ مُستِحقٌّ للتَّعظيم، وأمَّا السَّلامُ فإنَّه دُعاءٌ، واللّهُ ليسَ بحاجةٍ إلى الدُّعاء[2].

(1) المراغي، تفسير المراغي: 5/111.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 59، والفوزان، إعانة المستفيد: 2/217.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»